
كلمة
تستحق أن نعيش بها ولها
مختصر كتاب (الكلمة المقدسة)





اسم الكتاب: كلمة تستحق أن نعيش بها ولها

إعداد: د/ محمد إسماعيل المقدم

مقاس الكتاب: ١٢ × ١٧

عدد الصفحات: ٩٦ صفحة

الطبعة: الثانية

سنة الطبع: ١٤٣٩هـ، ٢٠١٨م

رقم الإيداع

٢٠١٣/٩١٤٨م



الإسكندرية أبو سليمان ش عمر
أمام مسجد الخلفاء الراشدين
٠١١٢٠٠٠٤٦٤٦ - ٠١٠٠٥٠١٣١٥١



الإسكندرية مصطفى كامل
بجوار مسجد الفتح الإسلامي
٠١٠٩٤٥٥٥١٥٧ - ٠١١٢٦٥٠٠٦٩٦

طبع • نشر • توزيع



تأليف

محمد إسماعيل آل مقدم

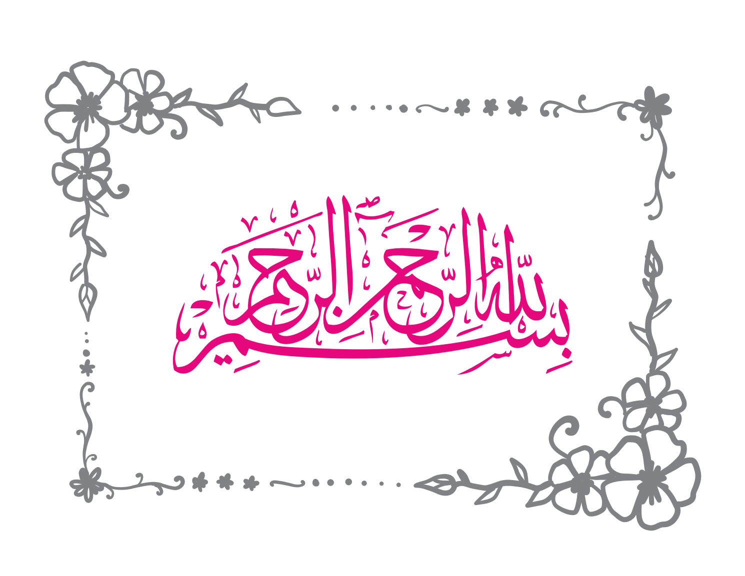
دار الخلفاء الراشدين

الإسكندرية - أبو سليمان - شارع عمر - أمام مسجد الخلفاء الراشدين

الإدارة: ٠١٠٠٥٠١٣١٥١ المبيعات: ٠١١٢٠٠٠٤٦٤٦


راسلونا على صفحتنا على الفيس بوك: «دار الخلفاء الراشدين»




بسم الله الرحمن الرحيم



بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله حقَّ حمده، والصلاة والسلام على محمد نبيه وعبدِه، وعلى آله وصحبه من بعده.

أما بعد،

فإن «لا إله إلا الله» كلمة أمرها عظيم، وخَطْبُهَا جسيم، وشأنها جليل، كلمة على الله كريمة، ولها عنده -سبحانه- مكان وشأن، أعلاها مُثمر، وأسفلها مُغْدِق[1]، لا توجد في الوجود كلمة أصدق ولا أعظم ولا أطهر ولا أقدس ولا أشرفُ منها، وليس في الدنيا ولا في الآخرة كلمة ثبت لها من الفضائل ما ثبت لها، فضائل لا يمكن عَدُّها وحَصْرُها، إذ يترتب عليها من الخير العميم، والأجرِ الجزيل، والثوابِ الجليل، ما لا يسنح بخيال، ولا يخطر على بال.

«**لا إله إلا الله**» كلمة الإسلام، ومفتاح دار السلام، وعنها يُسأل الأولون والآخِرون، فلا تزول قدما العبد بين

(١) الغَدَق: الماء الغامر الكثير، وأغدق عليه: أفاض عليه.



يدي الله حتى يُسأل عن مسألتين: ماذا كنتم تعبدون؟ وماذا أجبتم المرسلين؟

فجواب الأولى: بتحقيق «**لا إله إلا الله**» معرفةً وإقرارًا وعملًا.

وجواب الثانية: بتحقيق أن «محمدًا رسول الله» معرفةً وإقرارًا، وانقيادًا وطاعة.

«**لا إله إلا الله**» تاج الموحِّدين، ونور أفئدة المتقين، وحصن الأمان، وسفينة النجاة، كلمةُ الشهادة، ومفتاح دار السعادة.

بـ «**لا إله إلا الله**» أنزل الله الكتب، وأرسل الرسل، وشرع الشرائع.

«**لا إله إلا الله**» أصل الدين وأساسه، ورأس أمره، وساق شجرته، وعمود فُسطاطه، وبقية أركان الدين متفرعة عنها، متشعبة منها، مكمِّلات لها، مقيَّدةٌ بالتزام معناها، والعمل بمقتضاها.

ومن أجل «**لا إله إلا الله**» نُصِبت الموازين، ووُضِعت الدواوين، وقام سوق الجنة والنار، وهي التي فَرَّقتِ الناسَ



إلى مؤمنين وكفار، وميَّزتهم إلى السعداءِ أهلِ الجنة، والأشقياءِ أهلِ النار، وبها تكون السعادة والشقاوة، بل لا وصول للسعادة في الدارين إلا بها.

وبها النجاة من النار بعد الورود، وبعدم التزامها البقاءُ فيها والخلود، بها تؤخذ الكتب باليمين أو الشمال، ويثقل الميزان أو يخف، وعنها يُسأل الأولون والآخرون.

ولعِظَم معانيها، تعددت أوصافُها وأساميها، ومع أن شرفها وفضلها وموقعها من الدين فوق ما يصفه الواصفون، ويعرفه العارفون؛ إلا أننا حاولنا في هذه السطور اختصار ما تيسَّر من أساميها الشريفة، وفضائلها المنيفة، كما جاءت في القرآن المجيد، والسُّنةِ الشريفة، وكلامِ السلف الصالح، فَحَوَتْ فوائد جَمَّة، وفرائد يُعْنى بها ذوو الهمة[١].

نسأل الله بمنه وكرمه أن يُحيينا عليها، وأن يثبتنا عليها، إلى أن يُميتنا عليها، وأن يحشرنا عليها، ولا يحرمَنا من البركات المكنوزة لديها.

والحمد لله رب العالمين.

---

(١) وهذا الكتيب مختصر لكتابي «الكلمة المقدسة».



١ ركن الإسلام الأعظم

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: قال رسول الله ﷺ: «**بُني الإسلام على خمسٍ: شهادةِ أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله**[(١)]**، وإقامِ الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت**» [متفق عليه].

ولقد أجمعت الأمة على أن كلمتي الشهادة «لا إله إلا الله، محمد رسول الله» هي الركن الأول للإسلام، وعليها تُبنى الأعمال، ولا يُقبل إسلام؛ ولا يصح عملٌ بدونهما.

---

(١) اعلم - وفقك الله - أن الشهادتين متلازمتان، فلا تصح الشهادة بأن لا إله إلا الله إلا مع الشهادة بأن محمدًا رسول الله ﷺ، ولذلك كانت الشهادتان معًا ركنًا واحدًا من أركان الإسلام لا ركنين، ومن شهد بأن لا إله إلا الله، ولم يشرك بالله شيئًا، لكنه لم يشهد بأن محمدًا رسول الله، فهو كافر بالله مخلد في النار، إن مات على ذلك، وإن جاء بعبادة أهل الأرض.



٢ دِعاية الإسلام

قال رسول الله ﷺ في رسالته إلى هرقل ملك الروم:

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

من محمدٍ عَبْدِ الله وَرَسُولِهِ إلى هِرَقْلَ عَظِيمِ الرُّوم، سَلَامٌ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الهُدَى، أَمَّا بَعْدُ فَإِنِّي أَدْعُوكَ بِدِعَايَةِ الإِسْلَامِ، أَسْلِم تَسْلَم يُؤتِك الله أَجْركَ مَرَّتَيْنِ، فَإِنْ تَوَلَّيْتَ فَإِنَّ عَلَيْكَ إِثْمَ الأَرِيسِيِّينَ، و﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۢ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُولُواْ ٱشۡهَدُواْ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران:٦٤] . **[متفق عليه]**.

فـ«**دعاية الإسلام**» هي دعوته، وهي كلمة الشهادة التي يُدعى إليها أهل الملل الكافرة.

وعند مسلم: (بداعية الإسلام) والباء موضع (إلى).

وداعية الإسلام: الشهادتان.



٣ حق الله على العباد

عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبلٍ رضي الله عنه قَالَ: كُنْتُ رَدِيفَ النَّبِيِّ ﷺ عَلَى حِمَارٍ فَقَالَ: «**يَا مُعَاذُ، أَتَدْرِي مَا حَقُّ اللهِ عَلَى العِبَادِ**[١]**، وَمَا حَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللهِ؟**»[٢] قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «**فَإِنَّ حَقَّ اللهِ عَلَى الْعِبَادِ أَنْ يَعْبُدُوه وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَحَقَّ العِبَادِ عَلَى اللهِ أَنْ لَا يُعَذِّبَ مَنْ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا**». فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَفَلَا

---

(١) هو ما يستحقه عليهم، بل هو أوجب الواجبات على العباد.

(٢) **حق العباد على الله**: معناه أنه متحقق لا محالة، لأنه وعدهم ذلك جزاء لهم على توحيده، قال تعالى: ﴿وَعْدَ ٱللَّهِ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ﴾ [الروم: ٦].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «كون المطيع يستحق الجزاء هو استحقاقُ إنعامٍ وفضل، ليس هو استحقاقَ مقابلة، كما يستحق المخلوق على المخلوق» اهـ.

وأهل السُّنة يقولون: هو الذي كتب على نفسه الرحمة، وأوجب على نفسه الحق، ولم يوجبه عليه مخلوق، وفي الحديث القدسي: «**يا عبادي، إني حرمتُ الظلم على نفسي**» الحديث [مسلم].

أُبَشِّرُ النَّاسَ؟ قَالَ: «لَا تُبَشِّرْهُمْ فَيَتَّكِلُوا[١]» [متفق عليه].



أجمع الصحابة والتابعون، وسائر أئمة الدين، وعلماء أهل السُّنَّة والجماعة ومن وافقهم من الطوائف الأخرى على أن أول واجب على المكلَّف[٢] الإقرارُ بشهادة أن لا إله إلا الله، وشهادة أن محمدًا رسول الله[٣]، مع النطق بهما[٤].

وقد استدلوا على ذلك بأدلة منها:

حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم لما بعث معاذًا إلى

---

(١) أي: يعتمدوا على ذلك، فيتركوا التنافس في الأعمال.

(٢) **المكلَّف**: هو البالغ العاقل.

(٣) وقد توسعت في شرح هذه المسألة في كتابي «الشهادتان أول واجب على كل إنسان».

(٤) فالتلفظ في الشهادة ركن لها، وليس شرطًا فيها، لأنه من حقيقتها وماهيتها، لكنه يسقط عن العاجز كالأخرس، والمعذور. ومن شهد الشهادتين قبل البلوغ، لم يؤمر بتجديدهما عقب البلوغ، بل يؤمر بالطهارة والصلاة.



اليمن قال: «**إنك تقدم على قوم أهلِ كتاب، فليكن أولَ ما تدعوهم إليه عبادةُ الله، فإذا عرفوا الله فأخبِرْهم أن الله فرض عليهم خمس صلوات في يومهم وليلتهم، فإذا فعلوا فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم زكاة من أموالهم، وتُرد على فقرائهم، فإذا أطاعوا بها فخذ منهم، وتوقَّ كرائم أموال الناس**» [متفق عليه].

✍ **والمراد بالعبادة -هنا-** النطق بشهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، كما جاء في الرواية الأخرى مفسَّرًا: «**فادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله**» [مسلم].

٥ عاصمة الدم والمال

قال الله -تعالى-: ﴿ فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلۡأَشۡهُرُ ٱلۡحُرُمُ فَٱقۡتُلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡ وَخُذُوهُمۡ وَٱحۡصُرُوهُمۡ وَٱقۡعُدُواْ لَهُمۡ كُلَّ مَرۡصَدٖۚ فَإِن تَابُواْ (١) وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾ [التوبة: ٥]، وقال بعدها:

(١) أي: من الشرك، بالنطق بالشهادتين.

﴿فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِي ٱلدِّينِۗ وَنُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [التوبة:١١].

وقد تواترت الأحاديث عن خمسةَ عشرَ صحابيًّا رضي الله عنهم بألفاظ متقاربة، تُبين أن توبة المشركين إنما تكون بشهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، وتبين أن من حق هذه الشهادة: إقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة: عن طارق بن أشيم الأشجعي رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «**من قال: لا إله إلا الله** – وفي رواية: **من وحَّد الله** –، **وكفر بما يُعبد مِن دون الله، حَرُم مالُه ودمُه، وحسابُه على الله** عَزَّوَجَلَّ» [مسلم].

٦ أعلى شُعَبِ الإيمان وأفضلُها

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**الإيمان بضع وسبعون شعبة، أعلاها** – وفي رواية: **أفضلها** – **قول: لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان**» [متفق عليه].

والإيمان: أصل له شعب متعددة، وكل شعبة منه تسمى إيمانًا.

فالصلاة من الإيمان، وكذلك الزكاة، والحج، والصيام، والأعمال الباطنة، كالحياء، والتوكل، والخشية من الله، والإنابة إليه، حتى تنتهِيَ هذه الشعب إلى إماطة الأذى عن الطريق فإنه شعبة من شعب الإيمان، وهذه الشعب منها ما يزول الإيمان بزوالها كشعبة الشهادة، ومنها ما لا يزول بزوالها كترك إماطة الأذى عن الطريق.

٧ شرط في العمل الصالح

شُعَب الإيمان قد يتعلق بعضها ببعض تعلقَ المشروطِ بشرطه، فلا تنفع الصلاةُ مَن صلاها عمدًا بغير وضوء، ولا ينفع الإيمان بالله ووحدانيته وأنه لا إله إلا هو؛ من أنكر رسالة محمد .

وشعبة قول: «**لا إله إلا الله**» – باعتبارها أعلى وأفضل

شعب الإيمان - هي شرط في صحة ما تحتها من شعب الإيمان واعتبارِه عند الله -تعالى- ، ولذلك كان مِن شروط الانتفاع بالعمل الصالح في الآخرة(١) أن يكون العبد مسلمًا يشهد أن لا إله إلا الله.



الإيمان حياة، والكفر موت، و«لا إله إلا الله» هي روح الإيمان، وسر حياته.

---

(١) أما الأعمال التي يتقرب بها الكافر إلى الله كصدق الحديث، والوفاء بالوعد، وحسن الجوار، وإغاثة الملهوف، ونحوها، فإنه يُجازَى بها - إن شاء الله - في الدنيا فقط، التي هي «جنة الكافر»، قال الله تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي ٱلْأٓخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [هود]. وقال رسول الله ﷺ: «**إنَّ الله لا يظلم مُؤمنًا حسنةً، يُعْطَى بها في الدنيا، وَيُجْزَى بها في الآخرة، وأما الكافر فَيُطْعَمُ بِحَسَنَاتِ مَا عَمِلَ بِهَا لله فِي الدنيا، حتَّى إذا أَفْضَى إلى الآخرة لم تكن له حَسَنَةٌ يُجْزَى بها**» [مسلم].

والحياة الحقيقية لا تكون إلا بإخلاص الدين لله، ومتابعة الوحي المنزل على رسوله ﷺ، كما قال -تعالى-: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾ [الأنفال:٢٤].

قال السدي في تفسيرها: «ففي الإسلام إحياؤهم بعد موتهم بالكفر» اهـ.

فالحياة الحقيقية الطيبة هي حياة من استجاب لله والرسول ظاهرًا وباطنًا، فهؤلاء هم الأحياء -وإن ماتوا-، وغيرهم أموات - وإن كانوا أحياء الأبدان.

وأعظم أمر دعا إليه رسول الله ﷺ بل جميع الرسل -هو توحيد الله عَزَّوَجَلَّ، وإخلاص الدين له تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ، وأعظم نهي حذروا منه ونهوا عنه هو الإشراك بالله -تعالى-، قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾ [النحل:٣٦]، وهذا معنى «لا إله إلا الله».

ولقد سمى الله -تعالى- الوحيَ رُوحًا في قوله عَزَّوَجَلَّ:

٨- روح الإيمان، وسر الحياة

﴿ يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ أَنْ أَنذِرُوٓاْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ ﴾ [النحل: ٢].

قال الزجاج: «الروح: ما تحيا به القلوب من هداية الله -تعالى- لها».

فـ «لا إله إلا الله» للإيمان كالروح للجسد، إذا فارقته فارق الحياة، وصار جثة هامدة، بخلاف ما عداها من الأعمال فإنه - مع بقاء الروح تبقى الحياة، ولو تلفت بعض الأعضاء، وتعطلت بعض الجوارح.

وقال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ ﴾ [الشورى:٥٢]، فالروح هنا يراد بها الوحي، الذي من جملته القرآن الكريم، لأن الوحي به حياةُ الأرواح، كما أن الغذاء به حياة الأجسام، والقرآن يُحيي القلوب التي أماتها الجهل.

قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ (١) وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا

(١) وقوله - تعالى - في هذه الآية الكريمة: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا﴾، أي: كافرًا، ﴿فَأَحْيَيْنَٰهُ﴾، أي: بالإيمان والهدى. وهذا لا نزاع فيه، وفيه إطلاق=

يَمْشِي بِهِۦ فِي ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [الأنعام:١٢٢].

وقال –سبحانه– فيمن أمات الكفرُ قلوبهم، فهم لا يسمعون سماعَ هدًى وقبول وانتفاع: ﴿ إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْا۟ مُدْبِرِينَ ﴾ [النمل:٨٠]، ثم قابلهم بالمؤمنين الذين أحياهم التوحيد والإيمان، فقال بعدها مباشرة: ﴿إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [النمل: ٨١].

٩ مضمونُ الوحيِ الشريف وقُطْبُ رَحاه

قال الله –تعالى–: ﴿ يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ أَنْ أَنذِرُوٓا۟ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ ﴾ [النحل: ٢].

قال الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فقد أُمِر في هذه الآية الكريمة أن

= الموت، وإرادة الكفر بلا خلاف. وكقوله: ﴿ لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [يس:٧٠].

وكقوله – تعالى –: ﴿ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ ﴾ [فاطر:٢٢] أي: لا يستوي المؤمنون والكافرون.

٩- مضمون الوحي الشريف

يقول: إن ما أُوحِي إليه محصور في هذا النوع من التوحيد، لشمول كلمة (لا إله إلا الله) لجميع ما جاء في الكتب؛ لأنها تقتضي طاعة الله بعبادته وحده، فيشمل ذلك جميع العقائد والأوامر والنواهي، وما يتبع ذلك من ثواب وعقاب» اهـ.

ونظير آية (النحل) جملة من الآيات القرآنية الكريمة تواردت على تأكيد هذا المعنى:

فقد قال -سبحانه-: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥].

وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿قُلۡ إِنَّمَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ فَهَلۡ أَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠٨].

والقرآن الكريم كله في التوحيد بنوعيه: العلمي والعملي، وفي حقوقه وجزائه، وفي الشرك وأهله وجزائهم.

وغالبُ سور القرآن متضمنة لنوعَي التوحيد، بل كل سورة في القرآن:

- فإن القرآن إمَّا خبرٌ عن الله وأسمائه وصفاته وأفعاله، فهو التوحيدُ العِلميُّ الخبري.



- وإما دعوةٌ إلى عبادته وحدَه لا شريكَ له، وخَلْعِ ما يُعْبَدُ مِنْ دُونِهِ، فهو التَّوحِيدُ العملي الإراديُّ الطَّلَبيُّ.

- وإمَّا أمرٌ ونهي وإلزامٌ بطاعته، فذلك مِن حقوقِ التوحيد ومكمِّلاته.

- وإما خَبَرٌ عن إكرامه لأهلِ توحيده، وما فَعَلَ بهم في الدنيا وما يُكرِمُهم به في الآخرة، فهو جزاء توحيدِه.

- وإما خبرٌ عن أهلِ الشِّرْكِ، وما فَعَلَ بهم في الدنيا من النَّكال، وما يَحُلُّ بهم في العُقبى من العذاب، فهو جزاءُ مَنْ خرج عن حكم التوحيد.

١٠ مُجَدِّدة الإيمان

عن عبد الله بن عمروٍ رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**إن الإيمان لَيَخْلَقُ في جَوْفِ أحدِكم كما يَخلَقُ الثوبُ، فاسألوا الله -تعالى- أن يُجَدِّدَ الإيمانَ في قلوبكم**» [حسن].



ويُروى عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال لأصحابه: «**جَدِّدوا إيمانكم**»، قيل: يا رسول الله، وكيف نجدد إيماننا؟ قال: «**أكثروا من قول: لا إله إلا الله**» [حسن].

فالمداومة على قول: «لا إله إلا الله» تجدد الإيمان في القلب، وتملؤه نورًا، وتزيده يقينًا.

١١ زكاة النفوس، وطهارة القلوب

نجاسة الثوب والبدن والمكان يطهرها الماء، أما من تنجست روحه بالشرك، فإنه لا يقوى على تطهيرها منه إلا شهادةُ أن لا إله إلا الله، وبدون هذه الشهادة لا يمكن إزالة هذه النجاسة مهما عمل من الأعمال الصالحة.

ولأنه ليس في الوجود نجاسة أشد خبثًا من الشرك قال الله -تعالى-: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ [النساء:٤٨]، وقال -سبحانه-: ﴿ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٌ ﴾ [لقمان:١٣].

ذكر الدليل على نجاسة المشركين

قال الله عَزَّوَجَلَّ في الكافرين: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمْ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْۚ لَهُمْ فِي ٱلدُّنْيَا خِزْيٌۖ وَلَهُمْ فِي ٱلْأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [المائدة:٤١].

وقال -سبحانه-: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ﴾ [التوبة:١٢٥].

وقد صرح -سبحانه- بنجاسة الكفار في قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾.

ونجاسة المشركين معنوية روحية وليست ذاتية حسية.

ولاشك أن خباثة الاعتقاد أدنى بصاحبها إلى التحقير من قذارة الذات، ولذلك أُوجِب الغسلُ على المشرك إذا أسلم انخلاعًا عن تلك القذارة المعنوية بالطهارة الحسية لإزالة خباثة نفسه.

ونجاسة المشرك ملازمة له، لا تطهرها المصائب

المكفرة ولا الحسنات الماحية، بعكس المسلم، فإنه إذا تدنس بشيء من المعاصي - دون الشرك - فإنه قد تمحوها موانعُ إنفاذ الوعيد وهي: التوبة، والاستغفار، والحسنات الماحية، ودعاء المؤمنين، وإهداء القربات، والشفاعة، والمصائب المكفرة، والعفو الإلهي.

وقد نزَّه النبي ﷺ المؤمن عن أن يوصف بالنجاسة:

فعن حذيفة رضي الله عنه؛ أن رسول الله ﷺ لقيه وهو جنب، فحاد عنه فاغتسل، ثم جاء فقال: كنت جُنُبًا، قال: «**إن المسلم لا ينجَس**» [مسلم].

- ومما يدل على نجاسة المشركين وصفهم بأنهم (لا يؤتون الزكاة) وهي شهادة أن لا إله إلا الله، فقد قال -تعالى-: ﴿وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ﴿٦﴾ الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾ [فصلت:٦، ٧] قال ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾: «لا يشهدون أن لا إله إلا الله، وهي زكاة الأنفس».

وقال موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ مخاطبًا فرعون: ﴿هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ﴾ [النازعات] أي: تتطهر من



هذا الشرك بالتوحيد، قال عكرمة: «أي: إلى أن تقول: لا إله إلا الله». فالتوحيد هو الأصل في التزكية، بل لا يمكن أن تزكو النفس بأي عبادة من العبادات حتى تزكو بشهادة التوحيد أولًا.

١٢ أعظم نعمة على المَهْدِيِّين إليها

إن الله -تعالى- هو مصدر كل نعمة، كما قال -سبحانه-: ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ﴾ [النحل:٥٣].

والنعمة العظمى هي المُفْضية إلى السعادة الأخروية الأبدية الخالدة كما قال الله -تعالى-: ﴿وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْآخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴾ [العنكبوت: ٦٤]، وقال رسول الله ﷺ: «**اللهم لا عيشَ إلا عيشُ الآخرة**» **[متفق عليه]**.

وقال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴾

[آل عمران: ١٨٥].



١٢- أعظم نعمة على المهديين إليها

وعن معاذ رضي الله عنه قال: مَرَّ رسول الله ﷺ برجل يقول: اللهم إني أسألك تمام النعمة، قال: «**يابن آدم، أتدري ما تمامُ النعمة؟**» قال: دعوةٌ دعوتُ بها أرجو بها الخير، قال: «**فإن تمامَ النعمةِ فَوزٌ من النار، ودخولُ الجنة**» [حسن].

ولاشك أنه لا يُنال هذا الفوز العظيم إلا بلا إله إلا الله، كلمةِ الشهادة، ومفتاح دار السعادة، فكان التوفيق إليها هو المِنَّة العظمى، والنعمة القصوى على من شاء الله -تعالى- هدايته.

ولذلك يقول أهل الجنة بعد استقرارهم فيها: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ ۖ لَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ﴾ [الأعراف:٤٣].

وعن البراء رضي الله عنه، قال: رأيت النبيَّ ﷺ ينقل معنا التراب يوم الأحزاب، وقد وارى الترابُ بياضَ بطنه، وهو يقول: «**اللهم لولا أنت ما اهتدينا، ولا تصَدَّقْنَا ولا صَلَّينا**» الحديث [متفق عليه].

ولقد اختُصت «سورة النحل» اختصاصًا عظيمًا بتَعداد نعم الله -تعالى- على خلقه، وتكرر ذكر مادة «النعم» فيها تسع مرات، حتى سُمِّيَتْ «سورة النِّعَم»، وصدَّر الله عَزَّوَجَلَّ هذه السورة بأعظم نعمة، فقال -سبحانه-: ﴿ يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ أَنْ أَنذِرُوٓاْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ ﴾ [النحل:٢]، فقدَّم ذكرها قبل كل نعمة، فدل ذلك على أن التوفيق لهذه الكلمة هو أعظم نعم الله -تعالى- التي أسبغها على عباده، كما قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ﴾ [لقمان:٢٠]، قال مجاهد: «لا إله إلا الله».

وقال سفيان بن عيينة: «ما أنعم الله على العباد نعمةً أفضلَ مِن أن عرَّفهم (لا إله إلا الله)، فإن (لا إله إلا الله) لهم في الآخرة كالماء في الدنيا».

ولا شك أن التوفيق لشهادة التوحيد والانتظام في سلك الموحدين هو أعظم نعمة ينعمها الله على العبد، وأنها تدخل دخولًا أوليًّا في قوله -تعالى-: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ [المائدة:٣]،

وقوله -تعالى-: ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ﴾ [الأحقاف:١٥]، وقوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ الآية [الفاتحة:٧].

من أجل ذلك كان من هدي الصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ أن يجلسوا ليشكروا الله -تعالى- نعمةَ التوحيد، ونعمة الرسالة، ونعمة الإسلام:

فعن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: خَرجَ معاويةُ على حَلْقَة في المسجد، فقال: «ما أَجلَسَكُم؟» قالوا: جَلسنا نَذكُرُ الله عَزَّوَجَلَّ، قال: آلله ما أَجلَسكُم إلا ذاكَ؟ قالوا: آلله ما أَجلسَنا إلا ذاك، قال: أَمَا إنِّي لم أستَحلِفْكُم تُهمَةً لكم، وما كانَ أحدٌ بمنزلتي من رسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أقَلَّ عنه حديثًا منِّي، وإنَّ رسولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَرجَ على حَلْقة من أصحابِه، فقال: «**ما أَجلَسَكُم؟**» قالوا: جَلسنا نَذكُرُ الله عَزَّوَجَلَّ، ونَحمدُهُ على ما هَدانا للإسلام ومَنَّ علينا بك، قال: «**آلله ما أجلَسكُم إلا ذلكَ؟**» قالوا: آللهِ ما أَجلسَنا إلا ذلك، قال: «**أَما إنِّي لَمْ أستَحلِفْكُم تُهمَةً لكم، وإنَّهُ أتانِي جِبريلُ** عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ **فَأَخْبَرَني أَنَّ الله** عَزَّوَجَلَّ **يُباهِي بِكُمُ الملائِكَةَ**» [صحيح].



وعن عبد الملك بن مروان قال: ما قال عبدٌ كلمةً أحبَّ إليه وأبلغَ في الشكر عنده من أن يقول: «الحمد لله الذي أنعم علينا، وهدانا للإسلام».



١٣ أفضل الذكر

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - يقول: «**أفضل الذكر**[١]: **لا إله إلا الله**[٢]، **وأفضل الدعاء: الحمد لله**» [حسن].

وعن أمير المؤمنين علي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**أفضل ما قلتُ أنا والنبيُّون قبلي عشيةَ عَرَفَةَ: لا إله إلا الله وحده، لا شريك له، له الملكُ وله الحمدُ، وهو على كلِّ شيء قدير**» [حسن].

(١) أي بعد القرآن الكريم، لحديث: «**أفضل الكلام بعد القرآن أربع..**».
(٢) إذ لا يصح الإيمان إلا به، ولأن فيه إثباتَ الإلهية لله ونفيها عما عداه، وليس ذا في سواه من الأذكار، ولأن للتهليل تأثيرًا في تطهير الباطن عن الأوصاف الذميمة.

١٤
من الباقيات الصالحات

قال الله -تعالى-: ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾[الكهف:٤٦].

وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا﴾ [مريم:٧٦].

وذهب جمهور المفسرين إلى أنها قول: «سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر».

وذلك لما رواه أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**خُذوا جُنَّتكم**»، قلنا: يا رسول الله، مِن عَدوٍّ قد حضر! قال: «**لا، بل جُنَّتكم من النار، قولوا: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، فإنَّهنَّ يأتين يوم القيامة مُقدِّماتٍ ومُعقِّباتٍ ومُجَنِّباتٍ، وهن الباقيات الصالحات**» [صحيح].



١٥ اسم الله الأعظم يشتمل على «لا إله إلا الله»

- وأصح ما ورد في تعيينه:

١- ما رواه عبد الله بن بريدة الأسلمي عن أبيه رضي الله عنه أنه قال: سمع النبيُّ ﷺ رجلًا يدعو وهو يقول: «اللهم إني أسألك بأني أشهد أنك أنت الله **لا إله إلا أنت**، الأحد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كُفُوًا أحد»، قال: فقال: «**والذي نفسي بيده لقد سأل الله باسمه الأعظم؛ الذي إذا دُعي به أجاب، وإذا سُئِل به أعطى**». وفي أحد لفظي أبي داود: «**لقد سألتَ الله بالاسم الذي إذا سُئل به أَعطى، وإذا دُعِيَ به أجاب**» [صحيح].

٢- عن أنس رضي الله عنه أنه كان مع رسول الله ﷺ جالسًا ورجل يصلي، ثم دعا: «اللهم إني أسألك بأن لك الحمدَ، **لا إله إلا أنت**، المنانُ، بديعَ السمواتِ والأرض، يا ذا الجلال والإكرام، يا حيُّ يا قيومُ»، فقال النبي ﷺ: «**لقد دعا باسمه**

العظيم الذي إذا دُعي به أجاب، وإذا سُئل به أعطى» [صحيح].

٣- عن أسماء بنت يزيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: إن النبي ﷺ قال: «اسم الله الأعظم في هاتين الآيتين: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٦٣]، وفاتحة سورة آل عمران ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ [آل عمران]» [حسن].

٤- وعن سعد بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال رسول الله ﷺ: «دعوة ذي النون إذ دعا وهو في بطن الحوت: (لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين)، إنه لم يدع بها مسلم في شيء قط إلا استجاب الله له بها» [صحيح].



عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال رسول الله ﷺ: «ما قال عبد: (لا إله إلا الله) قطُّ مُخْلِصًا إلا فُتحت له أبوابُ السماء، حتى تُفْضِيَ إلى العرش، ما اجتنب الكبائر» [حسن].

ورُوي عن عبد الله بن عمرو ﵄ مرفوعًا: «.. **لا إله إلا الله ليس لها دون الله حجاب حتى تخلُصَ إليه**» [ضعيف].

١٧ مفتاح دعوة الرسل عَلَيۡهِمُ ٱلسَّلَامُ

كانت الدعوة إلى تحقيق أن «لا إله إلا الله»، الركنَ الركين، والأصلَ الأصيل الذي قدمه الأنبياء على غيره حين دَعَوْا أممهم إلى الإسلام، ابتداءً بنوح عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ الذي مكث في قومه ألف سنة إلا خمسين عامًا يدعوهم إلى التوحيد، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿**وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ**﴾ [المؤمنون: ٢٣].

وقال تعالى: ﴿**وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمۡ هُودٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ**﴾ [الأعراف: ٦٥].

وتكررت هذه الكلمة، وهذه الدعوة، على لسان صالح وشعيب وسائر الأنبياء والرسل - عليهم الصلاة والسلام -، ثم ذكرها الله -تعالى- قاعدة عامة في دعوة كل الرسل،

١٧- مفتاح دعوة الرسل عَلَيْهِمُ السَّلَامُ

فقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾ [النحل: ٣٦].

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴾ [الأنبياء:٢٥].

ثم أمر الله -تعالى- نبينا محمدًا ﷺ، بهذا فقال: ﴿قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿١١﴾ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ [الزمر].

وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُۥ دِينِى﴾ [الزمر:١٤].

وعندما بَعَثَ النبي ﷺ معاذَ بن جبل رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، إلى اليمن قال له: «**إنك تأتي قومًا أهلَ كتاب، فليكن أولَ ما تدعوهم إليه: عبادةُ الله وحده**، وفي رواية: **فادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله، فإن هم أطاعوا لذلك؛ فَأَعْلِمْهُمْ أن الله عَزَّوَجَلَّ، افترض عليهم خمسَ صلواتٍ في كل يوم وليلة**» الحديث. [متفق عليه].



١٨ القاسم المشترك الأعظم بين جميع الرسالات السماوية

قال -تعالى-: ﴿ وَسْئَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ ﴾ [الزخرف: ٤٥].

فكلمة التوحيد الخالدة «**لا إله إلّا الله**» قالها كل نبي ورسول من الله، ودعا إليها قومه منذ نزل آدم على هذه الأرض وحتى أكمل الله دينه، وأتم نعمته على الناس جميعًا بدين الإسلام وببعثة محمدٍ رسولِ الله ﷺ رحمةً للعالمين.



١٩ ملة إبراهيم الحنيفية

أفضل من دعا إلى «**لا إله إلا الله**» بعد رسول الله محمد ﷺ، أبوه إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ خليل الرحمن، وشيخ الأنبياء، وأبوهم.

١٩- ملة إبراهيم الحنيفية

فقد افتتح إبراهيم عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ عهدًا جديدًا، وسطَّر في تاريخ الدعوة إلى التوحيد فصلًا متميزًا فريدًا؛ إذ دعا إلى تحقيق هذه الكلمة في قوةٍ وحرارةٍ بالغتين، وجاهر قومه وأباه بالعداوة، وقال لهم في صراحة وجرأة: ﴿إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمۡ وَمِمَّا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرۡنَا بِكُمۡ وَبَدَا بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةُ وَٱلۡبَغۡضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحۡدَهُۥٓ﴾ [الممتحنة: ٤].

وبذلك استحق أبو الأنبياء عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ ما أثنى الله به عليه في كتابه من قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمۡ يَكُ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ شَاكِرًا لِّأَنۡعُمِهِۚ ٱجۡتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسۡتَقِيمٍ ﴿١٢١﴾ وَءَاتَيۡنَٰهُ فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةًۖ وَإِنَّهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٢٢﴾ ثُمَّ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ أَنِ ٱتَّبِعۡ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفًاۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ [النحل: ١٢٠-١٢٣].

فمِن شرف إبراهيم عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ أن أضافه الله -تعالى- إلى دين الإسلام، ونَسَبَ الملةَ الحنيفية إلى اسمه الشريف فقال: ﴿مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ﴾.

وملته عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ هي ملة الأنبياء قبلَهُ وبعدَهُ، وهي الإسلام

بمعناه العام، الذي يعني إسلام الوجه لله -تعالى- بالإخلاص له وحده دونما سواه، ونبذ الشرك والبراءة من أهله، والإحسان في عبادته باتباع شرعه الذي شرعه على لسان نبيه الذي أرسله، والإيمان بالمعاد، وذلك أحسن الدين، كما قال -تعالى-: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ﴾ [النساء:١٢٥].

وأمر الله -سبحانه- خليلَه محمدًا ﷺ أن يفخر بنعمة الانتماء إليها، فقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿قُلْ إِنَّنِى هَدَىٰنِى رَبِّىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًاۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾

[الأنعام:١٦١].

وعن عبد الرحمن بن أبزى رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا أصبح قال: «**أصبحنا على فطرة الإسلام، وكلمة الإخلاص، ودين نبينا محمد ﷺ وملة أبينا إبراهيم حنيفًا مسلمًا، وما كان من المشركين**» وإذا أمسى قال مثل ذلك. [حسن].

وأمر المؤمنين باتباعها، فقال سبحانه: ﴿ قُلْ صَدَقَ ٱللَّهُۗ فَٱتَّبِعُوا۟ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [آل عمران: ٩٥].

وخاطب أمة محمدٍ - صلى الله عليه وآله وسلم -، فقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمۡ إِبۡرَٰهِيمَۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ مِن قَبۡلُ وَفِي هَٰذَا﴾ الآية [الحج: ٧٨].

٢٠ هي الدين المقبول عند الله

لا يستطيع مسلم ولا يهودي ولا نصراني أن ينفي الإيمان عن نوح وإبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب وغيرهم من الأنبياء قبل موسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ، فالجميع يؤمنون أن هؤلاء كانوا رسلَ الله المؤمنين، وأن من تبعوهم كانوا مؤمنين، وأنهم كانوا على الدين المَرْضِيِّ المقبول - عند الله عَزَّوَجَلَّ، وفي الوقت نفسه لا يستطيع أحد أن ينسبهم إلى الموسوية (اليهودية)، ولا إلى المسيحية (النصرانية)، لسبب بديهي هو أن (اليهودية) و(النصرانية) لم تكونا قد عُرِفتا بعد في عهد أي واحد من هؤلاء الأنبياء.



إن الله عَزَّوَجَلَّ لما أرسل هؤلاء الأنبياء إلى أممهم فإنه أرسلهم بعقيدة واحدة هي توحيد الله، وبشرائعَ يدعون الناسَ إليها تتضمن أوامر الله عَزَّوَجَلَّ ونواهيَه، فَمَن قبلها وانقاد لله فيها: فهو المؤمن الذي آمن بالله ورسوله المبعوثِ إليه، ودان بالدين الذي يرضاه الله عَزَّوَجَلَّ ويقبله، فهذا الدين عند الله هو توحيد الله، والانقياد لشرائع الله، والاستسلام لحكم الله، والخضوع لأمره ونهيه، والإخلاص له عَزَّوَجَلَّ في ذلك كله، وإذا حاولنا أن نعبر عن هذه المعاني كلِّها في لغة العرب بكلمة واحدة تتضمن: الاستسلام (الذي هو الخضوع والانقياد)، والسلامة (التي هي الإخلاص)، فلن نجد سوى كلمة واحدة هي: (الإسلام).

نعم، فإن (الإسلام لله) هو التعريف الوحيد الذي يمكن أن يُعبَّر به عن الدين المعتبرِ والمَرْضِيِّ والمقبولِ عند الله، هو القاسم المشترك بين رسالات جميع الأنبياء، هو وحده الذي نستطيع أن نقول: إنه كان دين نوح، وإبراهيم، وإسماعيل، وإسحاق، ويعقوب - عليهم السلام -، ومن تبعهم من

٢٠- هي الدين المقبول عند الله

المؤمنين: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُ ﴾ [آل عمران:١٩].

من أجل ذلك لم يكن لفظُ (الإسلام) مجرد اسمٍ خاصٍّ للتعبير عن رسالة محمد رسول الله ﷺ، ولكنه - في حقيقته - هو التعبير الوحيد عن جوهر جميع الرسالات السماوية، بما في ذلك رسالة موسى، ورسالة عيسى عَلَيۡهِمَا ٱلسَّلَامُ ولم يكن وصف (المسلمين) مجردَ اسمٍ لأتباع رسولِ الله محمدٍ ﷺ، بل هناك معنىً (عام) للإسلام وللمسلمين، دلت عليه النصوص الآتية:

قال -تعالى-: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُ ﴾.

[آل عمران: ١٩]

وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿ بَلَىٰۚ مَنۡ أَسۡلَمَ وَجۡهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحۡسِنٞ فَلَهُۥٓ أَجۡرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴾

[البقرة:١١٢].

وقال - سبحانه - حاكيًا دعاء إبراهيم وإسماعيل عَلَيۡهِمَا ٱلسَّلَامُ: ﴿ رَبَّنَا وَٱجۡعَلۡنَا مُسۡلِمَيۡنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةٗ مُّسۡلِمَةٗ لَّكَ ﴾ [البقرة:١٢٨].



وقال نوح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾.

[يونس:٧٢]

وقال -تعالى- عن إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾.

[آل عمران:٦٧]

وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة:١٣٣].

وقال يوسف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [يوسف:١٠١].

وقال -تعالى- عن موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ﴾ [يونس:٨٤].

وقالت بِلقيس: ﴿وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

[النمل:٤٤]



٢٠- هي الدين المقبول عند الله

وقال -سبحانه- في شأن عيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾.

[آل عمران:٥٢]

وقال -سبحانه-: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ (١) لِلَّذِينَ هَادُوا۟﴾.

[المائدة: ٤٤]

وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿٨٤﴾ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [آل عمران].

ومن هنا كان مقتضى إيمان قوم موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ عبادة الله وحده، لا شريك له، والإيمان بالتوراة، والانقياد لشريعة

(١) قال ثعلب في تفسيرها: «كل نبي بُعِث بالإسلام غير أن الشرائع تختلف».

موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وليس الدين لموسى، ولكنه دين الله، وموسى رسوله والمبلغ عنه، والذين اتبعوا موسى، وآمنوا بالتوراة التي أُنزِلت عليه كانوا مسلمين خاضعين لله سُبْحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ، فإنهم بهذا الإيمان والانقياد والخضوع والاستسلام لله عَزَّوَجَلَّ إنما يكونون قد (أسلموا) لله فيما أرادهم أن يُسلموا له فيه.

وتوالى رسلُ الله بعد موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وكان مقتضى الإسلام لله عَزَّوَجَلَّ الإيمان بالرسل جميعًا وبرسالاتهم، وهكذا إلى أن بعث الله عبدَه ورسولَه عيسى المسيح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، فدعا قومه إلى عبادة الله وحده لا شريك له، والانقياد لشرعه، والإيمان بكتابه الإنجيل المنزل من عند الله، وليس الدين للمسيح، وإنما هو دين الله الذي أَرسل به جميع رسله وأنبيائه، والذين آمنوا بالمسيح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وبالإنجيل كانوا مسلمين خاضعين لله -سبحانه-، لأنهم (أسلموا لله) فيما أرادهم أن يُسلموا له فيه.

وهكذا أيضًا كان مقتضى إيمان الأمة المحمدية: التصديق

بتوحيد الله عَزَّوَجَلَّ لا شريك له، والإيمان برسول الله محمد ﷺ، وبالقرآن العظيم، فليس الدين لمحمد ولا لعيسى ولا لموسى إنما هو دين الله، دين واحد، هو الإسلام ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُ﴾ [آل عمران:١٩].

✍ **ومن هنا يتقرر أمران:**

الأول: خطأ تسمية البعض هذا الدين بـ (**الموسوية**) أو (**المسيحية**) أو (**المحمدية**)، إنما هو (الإسلام) دين واحد أرسل الله به جميع الرسل - عليهم السلام - داعين أممهم إليه، فمن أجابهم كان مسلمًا.

الثاني: خطأ إطلاق عبارة (**الأديان السماوية**) بصيغة الجمع، فلا توجد (أديان) سماوية متعددة، إنما الذي أُنزِل من السماء (دين واحد) هو الإسلام ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُ﴾ [آل عمران:١٩]، ﴿وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥].

وإنما الذي يتعدد هو (الرسالات) أو (الشرائع السماوية)، والأحكام العملية التي تختلف من نبي إلى آخر،

كتفاصيل وأحكام الطهارة، والصلاة، والصيام، والزواج، والمعاملات، وغيرها.

وهذا ما يبينه قولُه ﷺ: «**الأنبياء إخوة لعَلَّاتٍ، أمهاتهم شتى، ودينهم واحد**»، قال العلماء: أولاد العَلات هم الإخوة لأبٍ من أمهات شتى.

ومعنى الحديث أن أصل دينهم واحد، فهم متفقون في أصول التوحيد والطاعة، أما شرائعهم فيقع فيها الاختلاف.



٢١ مقتضى فطرة الله ومقتضى الميثاق القديم

إن معرفة الرب -سبحانه- وأنه لا إله إلا هو، معرفة فطرية ضرورية، بديهية أولية، لأنها مركوزة في الفِطَر بغير استدلال ولا نظر.

فإذا تُرِكَت الفِطَر بلا فسادٍ يطرأ عليها فإن القلب يعرف ربه -ضرورةً- ويحبه، ويعبده وحده دون سواه، ولو قُدِّر أن إنسانًا

نشأ وحده، وتربى وحده دون مؤثرٍ خارجي من البيئة المحيطة حتى يبلغ فإنه ينشأ مؤمنًا موحِّدًا عارفًا بالله -تعالى- .

ومَثَل الفطرة مع الحق كبصر العين مع الشمس، فكل ذِي عينٍ مُبصرة لو تُرِكَتْ عينهُ بغير حجاب عليها فإنه يرى الشمس، والعقائد الباطلة كاليهودية والنصرانية والمجوسية مثل الحجاب على العين، فهي تحول بين البصر ورؤية الشمس.

لقد جاءت الأدلة الشرعية تأمر بلزوم الفطرة:

١- قال الله -تعالى-: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًاۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَاۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾

[الروم:٣٠].

٢- قال الله -تعالى-: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْۖ قَالُوا۟ بَلَىٰۛ شَهِدْنَآۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْۖ

أَفَتُهۡلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلۡمُبۡطِلُونَ ﴿١٧٣﴾ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ وَلَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ﴾ [الأعراف]، وبذلك خُلِقت الذرية كلها مقرة بالإسلام، ومستقيمة على ملته، وظلت الخليقة على ذلك وقتًا مقدرًا من الزمان، حتى دبَّ فيهم الاختلاف، وابتُدع الشرك، فنُقِض العهد، وفسدت الفطر، وضلت العقول عن المراد من علة الخلق وحكمة التكوين...

فعندئذ رحمة من الله بعباده أرسل رسله مبشرين ومنذرين، وأنزل معهم الكتاب ليحكموا بين الناس فيما كانوا فيه يختلفون، وليُذَكِّروا الخلقَ بمقتضى فِطَرِهم من قبل أن يأتيهم عذاب أليم.

قال الله -تعالى-: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ﴾ [البقرة: ٢١٣].

٣- دلت آيات القرآن الكريم على أن جميع الرسل افتتحوا دعوتهم بقولهم: ﴿ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ﴾ [هود: ٥٠]، وأول صيغة أمر في (المصحف الشريف)

هي قوله -تعالى-: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ٢١]، وذلك لأن معرفة الله فطرية ضرورية أولية.

فمِن ثَمَّ دعا الأنبياء أول ما دَعَوْا قومهم إلى عبادة الله وحده، لأنهم - بحكم الفطرة - يعرفون الله، فإذا دُعوا إلى الإقرار بوجود الله -تعالى- أولًا؛ كان ذلك تحصيل حاصل، وإذا دُعوا إلى عبادته وحده تضمن ذلك الأمرُ أنهم يعرفونه.

٤- وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**كل مولود يُولَد على الفطرة، فأبواه يهودانه، أو ينصرانه، أو يمجِّسانه، كمثل البهيمة تنتج بهيمة، هل ترى فيها جدعاء؟**»، وفي رواية: «**تنتج بهيمة جمعاء**[١] **هل تحسون فيها من جدعاء**[٢]**؟**»، ثم يقول أبو هريرة: «اقرؤوا إن شئتم: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا﴾ [الروم:٣٠]» **[متفق عليه]**.

(١) **الجمعاء**: المجتمعة الخَلْق الكاملة الأعضاء.

(٢) **الجَدْع**: قطع الأنف أو الأذن أوالشفة، والجدعاء: مقطوعة الأطراف أو واحدِها.

والفطرة هنا هي الإسلام، وهذا هو المعنى الشرعي المعهود في نصوص الوحيين كما في بعض الروايات: «ما من مولود يولد إلا على هذه الملة» [مسلم].

وقد كان النبي ﷺ يقول إذا أصبح: «**أصبحنا على فطرة الإسلام، وكلمة الإخلاص، وعلى دين نبينا محمد ﷺ، وعلى ملة إبراهيم حنيفًا مسلمًا وما كان من المشركين**» الحديث، وإذا أمسى قال: «**أمسينا**» الحديث. [صحيح].

٥- حديث عياض بن حمار المجاشعي عن النبي ﷺ فيما يروي عن ربه، وفيه: «**وإني خلقت عبادي حنفاء**(١) **كلهم، وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم، وحرمت**

---

(١) **الحنيف في اللغة وفي نصوص الكتاب والسُّنة**: هوالمائل عن الشرك إلى التوحيد، قال - تعالى -: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾ [البينة:٥]، وقال - سبحانه -: ﴿مَا كَانَ إِبۡرَٰهِيمُ يَهُودِيّٗا وَلَا نَصۡرَانِيّٗا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفٗا مُّسۡلِمٗا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ [آل عمران:٦٧]، وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَٱتَّبِعُواْ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ [آل عمران: ٩٥]، وقال - تعالى -: ﴿وَأَنۡ أَقِمۡ وَجۡهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفٗا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ [يونس: ١٠٥].

عليهم ما أحللت لهم، وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطانًا ..» [مسلم].

٦- اهتداء الحنفاء العرب قبل البعثة إلى التوحيد:

وأخبارهم في ذلك كثيرة، من ذلك ما ورد في السُّنة من أن زيد بن عمرو بن نفيل خرج إلى الشام، باحثًا عن الدين الحق، فالتقى الأحبارَ والرهبانَ، وكلهم يقول له إنه لا يعلم الدين الحق إلَّا أن يكون حنيفًا على دين إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ: «**فلما رأى زيد قولهم في إبراهيم** عَلَيْهِ السَّلَامُ **خرج، فلما برز رفع يديه فقال: اللهم إني أشهد أني على دين إبراهيم**» [البخاري].

قال الحافظ ابن حجر عن زيد هذا: «وكان ممن طلب التوحيد، وخلع الأوثان، وجانب الشرك، لكنه مات قبل المبعث».

وقال عنه ابن كثير: «وكان زيد بن عمرو قد ترك عبادة الأوثان، وفارق دينهم، وكان لا يأكل إلَّا ما ذُبح على اسم الله وحده».

إن موقف المتحنفين يدل على أن العبد قد يصيب الحق بخواطر تجول في نفسه، وأدلة قد انتظمت وترتبت بداخله على وجوب التمسك به دون أن تُلقى عليه حُجج وبينات من خارج ذاته، ويدل أيضًا على أن بالفطرة قوة تقتضي: حب الفاطر ووجوبَ عبادته وحده، وأن هذا يتم في النفس بغير سبب منفصل عنها، فوجوده فيها لا يتوقف على توفر شرط، ولكن على انتفاء مانع، وهذا بخلاف إحداث الكفر فهو متوقف على وجود شرط منفصل عن الفطرة وليس على انتفاء مانع خارج عنها، مثل تربية وتنشئة الوالدين لطفلهما عليه. قال ﷺ: «**فأبواه يهودانه، أو ينصرانه، أو يمجسانه**».

ولو لم يكن ذلك كذلك لاستحال أن يصل عبد إلى الحق إلا بعد أن يسمعه مُدَلَّلًا عليه بالبينات والحُجَج من خارج نفسه، وهذا بخلاف الواقع.

✍ ما الإسلام الذي تعنيه الفطرة؟

بيَّنَّا أن المقصود بالفطرة في قوله ﷺ: «**كل مولود يولد**

على الفطرة»: الإسلام، ولسنا نعني بالإسلام هنا الإيمان الذي هو اعتقاد بالقلب، وقول باللسان، وعمل بالجوارح، ولا الإسلام (الخاص) الذي يعبر به عن جملة من العقائد والشرائع وغيرها مما لا يُعلم إلا من جهة الوحي الشريف إلى رسول الله ﷺ، لأن هذا كله معدوم من الطفل.

لكن المقصود هو: الإسلام (العام) أي التوحيد وإخلاص القصد لله وحده، الذي وصف الله به جميع الأنبياء وأتباعهم.

والفرق بينهما هنا: أن الإسلام (العام) فطري ضروري بديهي أولي لا يستطيع المرءُ له دَفْعًا، ولا يحصل عن طريق الكسب بالنظر والفكر والاستدلال، وهذا مركوز ومغروس في كل البشر، وهم فيه سواء.

أما الإسلام (الخاص): فكسبي يُدرَك بتعلم الأدلة التفصيلية، ويتفاوت فيه الناس تفاوتًا عظيمًا.

بيان معنى: «أن الفطرة تقتضي الإسلام»

هل الخِلقة التي يُولد عليها المولود مقتضية (أى: مستلزمة) للتوحيد والإسلام، أم أنها قابلةٌ له فحسب؟

بيَّنا فيما مضى الأدلة التي ترجح اقتضاء الفطرةِ الإسلام، وهذا لا يلزم منه أن يتحقق مقتضى الفطرة للإنسان منذ ولادته، فالمولود لا يكون عارفًا بالتوحيد منذ ولادته، وهو ليس مسلمًا بالفعل لأنه لا يعقل شيئًا، ولا يُكَلَّفُ إلا عند البلوغ، قال -تعالى-: ﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَـٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا﴾ [النحل: ٧٨].

لكن المقصود أنه قد خُلِق خِلقة مُهَيِّئة لمعرفة الله وتوحيده إذا أدرك وميز وعقل، فالتوحيد متحقق للمولود بالقوة المقتضية له[١].

(١) ولا يمكن أن يتحقق ذلك المقتضي قبل أن يعقل الطفل ويميز، ويكون له الاختيار بين أن يلتزم بمقتضى الفطرة أو أن ينحرف عنها.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «فنفس الفطرة تستلزم: الإقرار بخالقه ومحبته وإخلاص الدين له، وموجبات الفطرة ومقتضاها تحصل شيئًا بعد شيء، بحسب كمال الفطرة، إذا سَلِمت عن المعارض.

شأنها في ذلك شأن كافة الحواس كالسمع، والبصر والنطق... فكما يجوز لنا أن نقول: إن الإنسان ولد ناطقًا مع أننا نجزم بعجزه عنه ساعة ولادته، إلا أنه ينمو معه بنمو جسده، ويتحقق فيه إذا سلم عن معارضه، فكذلك الفطرة سواء بسواء.

وبالجملة: فكلما حصل في الطفل قدر من العلم والإرادة، حصل له قدر من معرفته بربه وحبه مع إخلاص الدين له بما يناسب ذلك» اهـ.

٢٢ محور الصراع في تاريخ البشرية

إن المتأمل في حركة التاريخ البشري - من خلال القرآن الكريم - لا تكاد تخطئ عينه أن الصراع في كل

حلقاته إنما دار حول «لا إله إلا الله» الكلمة المقدسة التي أرسل الله بها رسله، وأنزل بها كتبه، والتي مازال الأنبياء وأتباعهم يجابهون بها أهل الشرك والكفران ﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ﴾ [الحج:١٩].

إنه صراع بين دين سماوي واحد هو الإسلام، وبين أديان باطلة تدعو إلى عبادة غير الله، صراع بين حزب الله وهم رسل الله وأتباعهم، وحزب الشيطان وهم أتباع الأديان الباطلة، سواء أكانت ذات أصل سماوي صحيح ثم حُرِّفت، أم كانت أديانًا أرضية صنعها البشر.

وقصة الصراع تحاك وتعاد.. قصة متكررة منذ فجر التاريخ البشري إلى آخر الزمان، يتغير فيها فقط الزمان والمكان وأسماء الرجال المتنازعين، قصة واحدة بين فريقين اختصموا في ربهم، مؤمنين وكافرين: الأحداث متشابهة، تسلسل الفصول واحد، طبيعة الصراع لا تتغير، والنهاية معلومة، والنتائج محتومة: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ﴾ [غافر:٥١]، وقال

تعالى: ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓ﴾ [المجادلة:٢١].

قصة نوح هي قصة هود، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، ومحمد - عليهم الصلاة والسلام -، وهي نفسها تتكرر مع حبيبٍ النجار، ومؤمنِ آلِ فرعون، وأبي بكر الصديق، وعمرَ الفاروق إلى عصور التابعين وتابعيهم إلى يومنا هذا.



✍ **«لا إله إلا الله»** - إذ يقولها العبد مستشعرًا دلالتها اللطيفة - كلمة (قلبية) مدارها على وصف حال، والاعتراف بذوق صفات الكمال والجلال. إنها تعبير عن الخضوع الوجداني التام لله.

ولو تأملت هذه العبارة العظيمة في اللغة لوجدتها تقوم على لفظتين أساسيتين: هما مدار الإسلام كله: (الله) و(الإله).

فأما كلمة: (الله): فهو لفظ الجلال، الاسمُ العَلَم على الذات الإلهية، الاسم الجامع لكل الأسماء الحسنى



والصفات الإلهية العُلى. ولفظ (الله) فرد في اللغة، فلا يُجمع، ولا يتعدد.

وأما كلمة: (الإله) فهو لفظُ وصفٍ، يدل على معنًى شعوريٍّ قلبي؛ ولذلك فهو يتعدد؛ إذ يُجمع على (آلهة). وأما باقي العبارات في (لا إله إلا الله) فهي (لا) النافية، و(إلا) الحاصرة، تقومان بدور البناء والتركيب اللغوي؛ للنفي والإثبات الذي يربط نوع العلاقة في قلب المؤمن بين الصفة: (إله) والاسم: (الله). وحقيقة تلك العلاقة هي ما يهمنا هاهنا. إنها علاقة تملأ الوجدان بما يفيض به قلب العبد المعبر بها حقًّا وصدقًا من الاعتقاد والشعور تجاه مولاه جَلَّ وَعَلَا.

ذلك أن كلمة (إله) في أصل الاستعمال اللغوي كلمة قلبية، وجدانية، كما ذكرنا، بمعنى أنها لفظ من الألفاظ الدالة على أحوال القلب، كالحب، والبغض، والفرح، والحزن، والأسى، والشوق، والرغبة، والرهبة.. إلخ. أصلها قول العرب: «أَلِهَ الفَصيلُ يَأْلَهُ أَلَهًا»، إذا ناح شوقًا إلى

أمه. والفصيل: ابن الناقة إذا فُطِمَ وفُصِل عن الرَّضاع، يُحبس في الخيمة، وتُترك أمه في المرعى، حتى إذا طال به الحال ذكر أمه؛ وأخذه الشوق والحنين إليها - وهو آنئذٍ حديثُ عهدٍ بالرضاع - فناح، وأرغى رُغاء أشبهَ ما يكون بالبكاء. فيقولون: «ألِهَ الفصيلُ»، فأمه إذن هاهنا هي (إلهه) بالمعنى اللغوي.

جاء في (اللسان): «اسم: (الله): تفرد -سبحانه- بهذا الاسم، لا يشركه فيه غيره، فإذا قيل: (الإلاه) انطلق على الله -سبحانه-، وعلى ما يُعبد من الأصنام. وإذا قلتَ: (الله) لم ينطلق إلا عليه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ،... وقيل في اسم الباري -سبحانه-: إنه مأخوذ من ألِهَ يَألَهُ: إذا تحيَّرَ؛ لأن العقول تَألَهُ في عظمته. وألِهَ يألهُ ألَهًا: أي تحيَّر، وأصله وَلِهَ يَوْلَه وَلَهًا، وقد ألِهْتُ على فلان: أي اشتد جزعي عليه؛ مثل وَلِهْتُ، وقيل: هو مأخوذ من: ألِهَ يَألَهُ إلى كذا، أي: لجأ إليه؛ لأنه -سبحانه- الـمَفْزَعُ الذي يُلْجَأُ إليه في كل أمر»؛ إذ (الإله) في هذا السياق اللغوي هو: ما يَشُوقُ القلب، ويأخذ

بمجامع الوجدان إلى درجة الانقياد له والخضوع. قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾ [الجاثية:٢٣].

و(**الوَلَهُ**): هو الجنون الحاصل بسبب الحب الشديد، أو الحزن الشديد. يقال: امرأة وَلُوهٌ: إذا أحبت حتى جُنت، أو إذا ثكلت؛ فحزنت حتى جُنت. قال ابن منظور: «الوله: الحزن. وقيل هو ذَهابُ العقل والتحيُّر من شدة الوَجْد، أو الحزن أو الخوف. والوَلَه: ذهاب العقل لِفقدان الحبيب... وناقة مِيلاه: هي التي فقدت ولدها فهي تَلِهُ إليه. يقال: وَلَهَتْ إليه تَلِهُ أي تَحِنُّ إليه... وناقة وَالِهٌ:إذا اشتد وَجْدُها على ولدها».

وهكذا فأنت ترى أن مدار المادتين (أَلِهَ) و(وَلِهَ) هو على معان قلبية، ترجع في مجملها إلى التعلق الوجداني والامتلاء بالحب، فيكون قول المؤمن: «لا إله إلا الله» تعبيرًا عما يجده في قلبه من تعلق بربه -تعالى-، أي لا محبوب إلا الله، ولا مرهوب إلا الله، ولا يملأ عليه عمارة قلبه إلا قصد الله. إنه أشبه ما يكون بذلك الفصيل الصغير الذي ناح شوقًا إلى أمه، إذا أحس بألم الفراق، ووحشة البُعد.

٢٣- ميثاق المحبة

إن المسلم إذ (يشهد) أن لا إله إلا الله، يقر شاهدًا على قلبه أنه لا يتعلق إلا بالله رغبة ورهبة وشوقًا ومحبة. وتلك واللهِ (شهادة) عظيمة وخطيرة؛ لأنها إقرار واعتراف بشعور لا يدري أحدٌ مصداقَ ما فيه من الصدق إلا الله، ثم الشاهدُ نفسه. ومعاني القلب لا تُحَدُّ بعباراتٍ، ولا تحصرها إشارات. ومن هنا كانت شهادة أن «لا إله إلا الله» من اللطافة بمكان؛ بحيث لا تُدرَك على تمام حقيقتها إلا ذوقًا.

يمكنك أن تُعَرِّف عقيدة الإسلام في نهاية المطاف، فتقول: **إنها ميثاق المحبة بين الله وعباده.**

وبذلك المعنى كانت هذه العقيدة تفيض بأنوار الجمال ومباهج الجلال؛ ولذلك يقول النبي ﷺ: «**إن الله –تعالى– قد حرَّم على النار من قال: (لا إله إلا الله) يبتغي بذلك وجه الله**»، أكلمة واحدة تتلفظ بها فتدخل الجنة؟ نعم! ولكن هي ليست مجرد كلمة ولا كلمات؛ إنها تَوَجُّهٌ قلبي وميل وجداني، إنها مسألة (حب)، وإن من أحب اللهَ أحبه اللهُ، ومن أحبه الله وفقه إلى عبادته وطاعته. إنها حقيقة جميلة وعظيمة، وإن عدم

إدراكها ذوقًا ووجدانًا قد كان سببًا في تضييع معاني الدين، وانحراف كثير من الناس عن منهاجه المستقيم.

٢٤ صرخة الحرية

يُعلي البشر قيمة الحرية، ويحرصون على نيلها، ويهربون من العبودية ويمقتونها.

والحرية كلمة واحدة، لكن فَهِمَها الناس بصور متعددة، فالحرية من أوسع المفاهيم الإنسانية، وأكثرها تعريفًا، وقد ذكر بعض الباحثين أن لها أكثر من مائتي تعريف.

ومن هنا استُعملت في غير معناها الحقيقي، واستُغلت كشعار براق تُزَيَّن به مذاهب فكرية، ونظم سياسية، واجتماعية.

الحرية في المفهوم الغربي

يقول «**برتراند راسل**»: «إن الحرية بشكل عام يجب أن تُعَرَّفَ على أنها: غياب الحواجز أمام تحقيق الرغبات».

٢٤- صرخة الحرية

إن الحرية في المفهوم الغربي قائمة على أن الإنسان هو مركز الكون، وأنه يستقل بأمر نفسه، فلا يلزم أن يُقيِّدَ حريتَه قيدٌ، ولا فرق بينه وبين البهيمة المرسلة إلا في شيء واحد هو: إعطاء الحقِّ لإنسانٍ آخرَ مثلِه، فالقيد الوحيد الذي يَرِدُ على حرية الفرد هو التعارض مع حرية الآخرين، وما عداه من قيود إهدار للحرية.

- والحرية عندهم مرتبطة بعالَم الشهادة مع تنحية أي شيء له تعلق بالغيب[1]:

- فالإله: إما أنه لا وجود له، كما يقول الملاحدة من فلاسفتهم.

- أو أن هناك إلهًا، لكنه خلق العالم، ثم حرَّكه، ثم انسحب وتركه يدبر أمر نفسه، ولا يدري عنه شيئًا، وهذا

(١) فمقر الإنسان الوحيد في زعمهم هو هذه الحياة الدنيا، وهي أرضنا الموعودة، ولا جدوى من البحث عن السعادة في غيرها، ولهذا أخذوا يعبون من الشهوات لأن الدنيا هي فرصتهم الوحيدة، فعليهم أن يحيوا لاستيفاء الاستمتاع بها.

مفهوم «أرسطو» للإله، إله له الخلق، لكن ليس له «الأمر»، يملك ولا يحكم كملك الإنكليز، تعالى الله عما يقول الظالمون علوًّا كبيرًا.

قال تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ [المؤمنون:١١٥]، وقال سبحانه: ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى﴾ [القيامة:٣٦]، أي: هَمَلًا لا يُكَلَّفُ ولا يُؤمَر ولا يُنهى؟

المفهوم الصحيح للحرية

الطريق إلى الحرية الحقيقية واحدٌ لا ثاني له، ألا وهو العبودية لله عَزَّوَجَلَّ، كما بينه الله -تعالى- القائل: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الملك:١٤].

إن الحرية الحقيقية هي التحرر من عبادة غير الله، وإفراد الله -سبحانه- باستحقاق العبودية، وهذا هو معنى

٢٤- صرخة الحرية

«لا إله إلا الله»: الكفر بالطاغوت[١]، والإيمان بالله.

إن كلمة «لا إله إلا الله» - التي هي (صرخة الحرية) - تبدأ بثورة ممثلة في شق النفي: «لا إله» التي تعني الكفر بكل ما عُبد من دون الله، يتبعها شق الإثبات «إلا الله»، قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾

[البقرة:٢٥٦].

وقال تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل:٣٦].

وهو ما صَرَّح به خليل الرحمن عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ حين خاطب قومه قائلًا: ﴿إِنَّنِي بَرَآءٞ مِّمَّا تَعۡبُدُونَ ٢٦ إِلَّا ٱلَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُۥ سَيَهۡدِينِ﴾ [الزخرف].

إن الإنسان فقير بذاته يتطلع بفطرته إلى الخضوع والذل و(العبودية) لخالقه وفاطره الغني بذاته:

(١) **الطاغوت**: مشتق من الطغيان، وهو مجاوزة الحد، ويُطلق على الشيطان والكُهَّان، وكلِّ ما عُبِد من دون الله.

والفقرُ وصـفُ ذاتٍ لازمٌ لي أبدًا
كـما الغنى أبـدًا وصـفٌ لـه ذاتي

فمِن ثَمَّ لا يستقيم حاله، ولا يطمئن قلبه، إلا إذا آوى إلى مولاه، وطرح نفسه على عتبته، وأمعن في العبودية الخالصة له دون سواه، إذ إن هذه (العبودية) هي أرقى مراتب الحرية، لأن العبد إذا تذلل إلى مولاه وحده فإنه يتحرر من كل سلطان، فلا يتوجه قلبه، ولا يطأطئ رأسه إلا لخالق السماوات والأرض.

إن مفهوم العبودية لله في الإسلام يعني الحرِّيةَ في أرقى صورها وأكمل مراتبها، العبودية لله إذا كانت صادقة تعني التحرر من سلطان المخلوقات والتعبد لها، فالمسلم ينظر إلى هذا الوجود نظرة صاحب السلطان، فالله خلق كل ما فيه من أجلنا، وسخَّره لنا: ﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ﴾ [الجاثية:١٣].

وما دام الأمر كذلك فالمسلم لن يخضع لهذه

المخلوقات، ولن يقصدها؛ لأنها أقل منه شأنًا، فهي مخلوقة لنفعه، ومُسَخَّرة لخدمته.

٢٥ الرابطة الحقيقية بين أهل الإسلام

✍ إن «لا إله إلا الله»، هي الرابطة الحقيقية التي اجتمع عليها أهلُ الإسلام، فبها يُحبون ويوالون، وعليها يُبغِضون ويعادون، وبسببها أصبح المجتمع المسلم كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى، وأصبح كالبنيان المرصوص يشد بعضُه بعضًا.

وبشهادة أن «لا إله إلا الله»، تنعقد آصرة الأخوة الإيمانية ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات:١٠]، وقال ﷺ: **«المسلم أخو المسلم»** [مسلم].

وبها ينال المؤمن استغفارَ النبي ﷺ قال -تعالى-: ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ [محمد:١٩]، واستغفارَ الملائكة: ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [غافر:٧]،

وشفاعةَ رسولِ الله ﷺ: «**شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي**» [مسلم]، وبها يَشْرُفُ بمشاركة الله -تعالى- في اسمه - المؤمن.

وبها ينال المسلمُ أبوةَ إبراهيمَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ﴾ [الحج:٧٨]، وبها تصبح زوجاتُ رسول الله ﷺ أمهاتٍ له، قال -تعالى-: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ﴾ [الأحزاب:٦].

لقد ربط الإسلام المسلم بأخيه حتى صارا كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو؛ تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى، فربْطُ الإسلام لك بأخيك كربط يدك بمِعصَمك، ورِجْلِك بساقك، كما جاء في الحديث عن النبي ﷺ: «**إن مَثَلَ المؤمنين في تراحمهم وتعاطفهم وتوادهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى**» [متفق عليه]، ولذلك يكثر في القرآن العظيم إطلاقُ النفس، وإرادةُ الأخ تنبيهًا على أن رابطة الإسلام تجعل أخا المسلم كنفسه، كقوله -تعالى-: ﴿وَلَا تُخْرِجُونَ

﴿أَنفُسَكُم مِّن دِيَـٰرِكُمْ﴾ [البقرة:٨٤]، أي: لا تخرجون إخوانكم، وكقوله -تعالى-: ﴿لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا﴾ [النور:١٢]، أي: بإخوانهم على أصح التفسيرين، وقوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَا تَلْمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمْ﴾ [الحجرات:١١]، الآية. أي: إخوانكم على أصح التفسيرين، ولذلك ثبت في الصحيح عنه ﷺ أنه قال: «**لا يؤمن أحدكم حتى يُحِبَّ لأخيه ما يحب لنفسه من الخير**»(١).



٢٦ شعار الإسلام الباقي بعد اندراس الشرائع

كلمة التوحيد «**لا إله إلّا الله**» هي آخر ما يبقى من الإسلام في الأرض بعد رفع العِلْم، واندراس الشرائع، ورفع القرآن الكريم من المصاحف والصدور.

(١) رواه الشيخان وغيرهما، وقوله: «**من الخير**» زيادة صحيحة رواها أبو عوانة والنسائي والإمام أحمد.

فعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «**يَدْرُسُ الإسلامُ كما يَدْرُسُ**(١) **وَشْيُ الثوب**(٢)**، حتى لا يُدْرَى ما صيامٌ، ولا صلاةٌ، ولا نُسُكٌ، ولا صدقةٌ، وَلَيُسْرى على كتاب الله عَزَّوَجَلَّ في ليلةٍ، فلا يبقى في الأرض منه آية، وتبقى طوائفُ من الناس: الشيخ الكبيرُ والعجوزُ، يقولون: أدركنا آباءنا على هذه الكلمة (لا إله إلَّا الله)، فنحن نقولها**»، وزاد الحاكم في روايته: قال صِلَةُ بنُ زُفَر لحذيفة: ما تُغني عنهم: (لا إله إلَّا الله)، وهم لا يدرون ما صلاةٌ، ولا صيامٌ، ولا نُسُكٌ، ولا صدقةٌ؟، فأعرض عنه حذيفة، ثم رَدَّها عليه ثلاثًا، كل ذلك يُعْرِضُ عنه حذيفة، ثم أقبل عليه في الثالثة، فقال: «يا صلة! تنجيهم من النار - ثلاثًا» [صحيح].

* * *

(١) **يَدْرُس**: من درس الرسم دروسًا، إذا عفا وهلك.

(٢) **وَشْيُ الثوب**: نقشه.



٢٧ ميلاد جديد

✍ «أشعر كأني وُلِدتُ من جديد».

عبارة مألوفة تجري على ألسنة المهتدين إلى الإسلام بعد أن ينطقوا بشهادة التوحيد، وينضموا إلى موكب الموحِّدين.

ومن الطريف أن يُسأل كبار السن منهم عن عمرهم في بعض المجالس فيجيب أحدهم بأن عمره مثلًا سبع سنوات أو أقل أو أكثر، فيحسبهم الجاهل بحالهم يمزحون، وما هي بمُزاحةٍ ولكنها الحقيقة: إنه يعني أنه وُلد من جديد، ووهبه الله الحياة الحقيقية في اليوم الذي أشرق فيه قلبُه بنور «لا إله إلا الله»، ودبت في جسده الميتِ بالكفر روحُ «لا إله إلا الله»، وذاق حلاوة الإيمان، وعاش الحياة الطيبة حين نطق «لا إله إلا الله».

عن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**ذاق طعمَ الإيمان مَن رضي بالله ربًّا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد رسولًا**» [مسلم].

وعن مالك بن أنس رضي الله عنه قال: لا يؤخذ كافر بشيء صنعه في كفره إذا أسلم، وذلك أن الله -تعالى- يقول: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغۡفَرۡ لَهُم مَّا قَدۡ سَلَفَ﴾ [الأنفال:٣٨].

إن شهادة أن «لا إله إلا الله» هي شهادة ميلاد جديد، وإعلان عن نشأة أخرى، وحياة ثانية هي الحياة (الطيبة) التي قال الله -سبحانه- فيها: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيۡتٗا فَأَحۡيَيۡنَٰهُ وَجَعَلۡنَا لَهُۥ نُورٗا يَمۡشِي بِهِۦ فِي ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ لَيۡسَ بِخَارِجٖ مِّنۡهَاۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلۡكَٰفِرِينَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٢]، وقال عزَّوَجلَّ: ﴿مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗۖ وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٧].

إن شهادة أن «لا إله إلا الله» شهادة ميلاد روحي

ونفسي ووجداني وفكري وسلوكي ومنهجي جديد، وبنطقها لا تتبدل فقط خانة الديانة في بطاقة الهوية، لكن يصاغ به الإنسان صياغة جديدة، ويعاد ترتيب دولاب حياته من جديد.

وبشهادة أن «لا إله إلا الله» تتبدل المشاعر من أقصى طرف البغض والعداوة إلى أعلى درجات الحب والولاء.

وما أكثر الذين تحقق فيهم هذا التحول المدهش من لدن عصر الرعيل الأول حتى يومنا هذا!

لقد حدث هذا على مستوى الأمم حيث أسلمت أمم بكاملها لله -تعالى-، وما حديث أمة (التتار) عنا ببعيد، إذ هي أمة غالبة قاهرة تُخضعها ديانة الأمة المغلوبة فتعتنق عقيدتَها، وترفع رايتها، وتولد من جديد.

وحدث على مستوى الأفراد، بحيث صار من الأخبار المألوفة منذ فجر الإسلام حتى اليوم أن شخصًا يُشار إليه بالبنان في محاربته للإسلام وصده عن سبيل الله بكل ما أوتي من قوة، تدركه رحمة الله فيولَد الولادة الثانية، ويتحول

إلى جندي مجاهد، وداعية مجالد، يذب عن دين الله آناء الليل وأطراف النهار، وكأنه يكفِّر عما اقترف من تشويه للدين ومحاربة للتوحيد.

٢٨ وصية الأنبياء عند الموت

قال الله -تعالى- في شأن خليله إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴾ [الزخرف]، وهذا معنى: لا إله إلا الله، ولهذا قال بعدها: ﴿وَجَعَلَهَا ﴾ أي: لا إله إلا الله ﴿ كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ [الزخرف: ٢٨].

وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴾ [البقرة].

وعن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا مرفوعًا: «**إن نوحًا** عَلَيْهِ السَّلَام **لما حَضَرَتْهُ الوفاةُ، قال لابنه: آمرك بلا إله إلا الله، فإن السمواتِ السبعَ والأرضينَ السبعَ لو وُضِعَتْ في كِفة، ووُضِعَتْ «لا إله إلا الله» في كفة رَجَحَتْ بهن لا إله إلا الله، ولو أن السموات السبع والأرضين السبع كن حَلْقَةً مُبْهَمَة(١) لَفَصَمَتْهُنَّ(٢) لا إله إلا الله**» [صحيح].



عن معاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**من كان آخرَ كلامه لا إله إلا الله(٣)، وجبت له الجنة**» [حسن].

(١) **مُبهمة**: المبهم من الأجسام: المُصْمَت.

(٢) **قَصمتْهُن**: وفي رواية: فصمتهن بالفاء، **والقصم**: كسر الشيء وإبانته، وبالفاء: كسره من غير إبانته.

(٣) علَّق الحافظ ابن حجر على هذا الحديث فقال رَحِمَهُ اللَّهُ: «والمراد بقوله: (لا إله إلا الله) في هذا الحديث وغيره كلمتا الشهادة، فلا يرد إشكال=

وعن عثمان بن عفان ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ «**مَنْ ماتَ وَهُوَ يعلَمُ أنه لَا إلهَ إلَّا الله دخلَ الجَنَّة**» [مسلم].

وعن معاذ بن جبل ﵁ قال رسول الله ﷺ: «**ما من نفس تموت وهي تشهد أن لا إله إلا الله، وأنِّي رسول الله، يرجع ذلك إلى قلب مُوقِنٍ، إلا غفر الله لها**» [حسن].

وعن طلحة ﵁ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إني لَأعلمُ كلمةً لا يقولُها أحدٌ عند موتهِ إلا كانت نورًا لِصحيفته، وإنَّ جسدَهُ وروحَهُ لَيَجِدانِ لها رَوْحًا عند الموت**»، وفي رواية: سمعته يقول: «**إني لأعلم كلمة لا يقولها عَبدٌ عند موته إلا أشرق لها لونُه، ونَفَّس الله عنه كربته**» قال: فقال عمر: إني لأعلم ما هي، قال: وما هي؟ قال: تعلمُ كلمةً أعظمَ من كلمةٍ أمر بها عمه عند الموت: «لا إله إلا الله»، قال طلحة: صدقت، هيَ والله هي. [صحيح].

= ترك ذكر الرسالة. قال الزين بن المنير: قول: (لا إله إلا الله) لقب جرى على النطق بالشهادتين شرعًا»اهـ. من «فتح الباري» (٣/ ٦٧٦).

من أجل ذلك قال رسول الله ﷺ: «**أكثروا من شهادة أن لا إله إلا الله، قبل أن يُحال بينكم وبينها، ولقِّنوها موتاكم**» [حسن].

٣٠ أثقل شيء في الميزان

عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن الله سيخلِّص رجلًا من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة، فينشرُ عليه تسعةً وتسعين سِجلًّا، كل سِجِلٍّ مثلُ مَدِّ البصر، ثم يقول: أتنكر من هذا شيئًا؟ أظلمك كتبتي الحافظون؟ فيقول: لا يا رب، فيقول: أفلك عُذْر؟ فيقول: لا يارب، فيقول: بلى، إن لك عندنا حسنةً، وإنه لا ظلم عليك اليوم، فيخرج بطاقة فيها: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، فيقول: احضَرْ وزنَك، فيقول: يارَبِّ! ما هذه البطاقة مع هذه السجلات؟ فقال: فإنك لا تُظلم، قال: فتوضع السجلات**

في كِفَّة، والبطاقة في كفة، فطاشت السجلاتُ وثقلت البطاقة، ولا يثقل مع اسم الله -تعالى- شيء»[١] [صحيح].

قال الشاعر:

مهـــما تفكَّـــرتُ في ذنـــوبي
خِفْــتُ عــلى قلبــي احتراقَــهْ
لكنــــــــه ينطفــي لــــهيبي
بذكـــر مـــا جـــاء في البطاقـــه

وعن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «قال موسى: ياربِّ، علمني شيئًا أذكرك به، وأدعوك به. قال: قل يا موسى: (لا إله إلا الله). قال: يارب، كل عبادك يقول هذا. قال: قل: (لا إله إلا الله). قال: إنما أريد شيئًا تخصني به، قال: يا موسى، لو أن أهل السماوات السبع والأرضين السبع في كِفَّةٍ، و(لا إله إلا الله) في كِفَّةٍ،

(١) ولا ريب أنَّ هذا قد قام بقلبه من الإيمان ما جعل بطاقته التي فيها «لا إله إلا الله» تطيش بتلك السِجلَّات، إذ الناس متفاضلون في الأعمال بحسب ما يقوم بقلوبهم من الإيمان، وإلا فكم من قائل: «لا إله إلا الله» لا يحصل له مثل هذا لضعف إيمانه بها في قلبه.

مالتْ بهم لا إله إلا الله» [صححه الحافظ ابن حجر].



عن معاذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من شهد أن لا إله إلا الله مخلصًا من قلبه - أو: يقينًا من قلبه، دخل الجنة، ولم تمسَّه النار» [صحيح].

وعن عِتبان بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ أنه قال: «إن الله حرَّم على النار من قال: «لا إله إلا الله» يبتغي بذلك وجه الله» [متفق عليه].

وعن أبي هريرة وأبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أنهما شهدا على رسول الله ﷺ قال: إذا قال العبد: «لا إله إلا الله»، والله أكبر، قال الله عَزَّوَجَلَّ: صدق عبدي، لا إله إلا أنا، وأنا أكبر، وإذا قال العبد: «لا إله إلا الله» وحده، قال: صدق عبدي، لا إله إلا أنا وحدي، وإذا قال: «لا إله إلا الله» لا شريك له، قال: صدق عبدي، لا إله إلا أنا، ولا شريك لي، وإذا قال: «لا إله إلا الله»،





له الملك، وله الحمد، قال: صدق عبدي، لا إله إلا أنا، ليَ الملك، وليَ الحمد، وإذا قال: «لا إله إلا الله»، ولا حول ولا قوة إلا بالله، قال: صدق عبدي، لا إله إلا أنا، ولا حول ولا قوة إلا بي، من رُزِقَهُنَّ عند موته لم تمسَّه النار [صحيح].



٣٢ نجاة من الخلود في النار

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**من قال: لا إله إلا الله، أنجته يومًا من دهره، أصابه قبل ذلك ما أصابه**» [صحيح].

والموحِّدون - وإن أُدخِلوا النار بذنوبهم التي ماتوا ولم يتوبوا منها - لكنهم لا يخلدون فيها، ويخرجون منها إلى الجنة.

وفي حديث أنس بن مالك رضي الله عنه في الشفاعة في آخره قال صلى الله عليه وسلم: «**.... ثُمَّ أَعُودُ الرَّابعةَ فأحمدُه بتلك المحامدِ ثم أَخِرُّ له ساجدًا، فَيُقالُ: وَعِزَّتي وجلالي وكبريائي وعظمتي لأُخرِجنَّ منها من قال: لا إله إلا الله**» [متفق عليه].

٣٣ مغفرة للذنوب، وكفارة للخطايا

قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا ﴾

[النساء:٤٨].

وقال تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغۡفَرۡ لَهُم مَّا قَدۡ سَلَفَ ﴾ الآية [الأنفال:٣٨].

وعن أنس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: سمعت رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يقول: **«يا بن آدم، لو أتيتني بقُراب(١) الأرض خطايا، ثم لقيتني لا تشرك بي شيئًا، لأتيتك بقرابها مغفرة»** [حسن].

وعن ابن شِماسة أنَّ عمرو بن العاص رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: لمَّا ألقى الله عَزَّوَجَلَّ في قلبي الإسلامَ، قال: أتيتُ النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ ليبايعني، فبسط يده إليَّ، فقلت: لا أُبايعُك يا رسول الله

(١) قُراب الأرض: ما يقارب ملأها.



حتى يُغفر لي ما تقدَّم من ذنبي. قال: فقال لي رسول الله ﷺ: «**يا عمرو، أما عَلِمْتَ أن الهجرةَ تجُبُّ ما قبلها من الذنوب، يا عمرو، أما علمت أن الإسلام يَجُبُّ ما كان قبلَه من الذنوب؟**» [صحيح على شرط مسلم].

وعن عمرو بن عبسة رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ شيخٌ كبير يَدَّعِمُ[1] على عصًا له، فقال: يا رسول الله، إن لي غَدَرَاتٍ وفَجَراتٍ فهل يُغفر لي؟ قال: «**ألستَ تشهَدُ**[2] **أن لا إله إلا الله؟**» قال: بلى، وأشهد أنك رسول الله، قال: «**قد غُفِرَ لك غَدَراتُك وفَجَراتُك**» [صحيح بشواهده].

❊ ❊ ❊

(١) يَدَّعِم: يتكئ.

(٢) أي: أما أسلمتَ بعد ذلك؟



٣٤ سبب لاستحقاق الشفاعة

إن التوحيد المتضمنَ إخلاصَ العبادة لله -تعالى- هو أعظم سبب تُنال به الشفاعة[١] يوم القيامة: عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال: لا إله إلا الله خالصًا من قلبه أو من نفسه**» [البخاري].

وعنه رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: «**لكل نبيٍّ دعوة مستجابة، فتعجَّل كل نبيٍّ دعوته، وإني اختبأتُ دعوتي شفاعةً لأمتي يوم القيامة، فهي نائلة إن شاء الله من مات من أمتي لا يشرك بالله شيئًا**» [مسلم].

---

(١) والشفاعة سبب من الأسباب التي يرحم الله بها مَن يرحم مِن عباده، وأحق الناس برحمته: هم أهل التوحيد والإخلاص له، فكل من كان أكمل في تحقيق إخلاص «لا إله إلا الله» علمًا وعقيدة، وعملًا وبراءةً، وموالاةً ومعاداةً: كان أحق بالرحمة.





٣٥ سبب دخول الجنة

عن جابر ﵁ عن النبي ﷺ أنه قال: «**المُوجِبتانِ: من مات لا يُشرك بالله شيئًا دخل الجنة، ومن مات يشرك بالله شيئًا دخل النار**» [مسلم].

وعن أبي أمامة بن سهل بن حنيف ﵁ أن رسول الله ﷺ قال: «**بَشِّر الناس أنه من قال: (لا إله إلا الله)، وجبت له الجنة**» [صحيح].



٣٦ مفتاح الجنة

✍ إن شهادة أن «لا إله إلا الله» هي عُنوان دخول المرء في دين الإسلام، وهي - بمقتضياتها وتوابعها ولوازمها - مفتاح الجنة في الآخرة.

رُوي عن معاذ بن جبل ﵁ قال رسول الله ﷺ: «**مفاتيح**

٣٦- مفتاح الجنة

الجنة: شهادة أن لا إله إلا الله» [ضعيف].

وعن أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«ما منكم من أحدٍ يتوضأ فيُبلِغ - أو: فيُسبغُ - الوضوء، ثم يقول: (أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا عبده ورسوله)، إلا فُتحت له أبوابُ الجنة الثمانية، يدخل من أيها شاء»** [مسلم].

وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: **«من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله، وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، والجنة حق، والنار حق، وأن الله يبعث من في القبور، فُتِحَتْ له ثمانيةُ أبوابِ الجنة يدخل من أيها شاء»** [متفق عليه].

قد يغفل بعض الناس عن حقيقة التوحيد وشرط النجاة، ويغترُّ بكلمة يديرها على لسانه، دون أن يفقه معناها، يظنُّها مفتاحًا للجنة، بمجرد نطقها باللسان، غافلًا



عن شروطها التي ينبغي أن تتحقق[1]، ومقتضياتها التي

---

(١) فإن شهادة التوحيد هذه، سببٌ لدخول الجنة، والنجاة من النار، ومقتضٍ لذلك، ولكن المقتضِيَ لا يعملُ عملَه إلا باستجماع شروطه وانتفاء موانعه، فقد يتخلَّف عنه مقتضاه لفواتِ شرطٍ من شروطه، أو لوجود مانعٍ من الموانع؛ وهذا قول الحسن البصري ووهب بن منبِّه، رحمهما الله.

- قال الحسن البصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ للفرزدق وهو يدفن امرأته: ما أعددتَ لهذا اليوم؟ قال: شهادةَ أن لا إله إلا الله منذ سبعين سنة، قال الحسن: «نِعْمَ العُدَّة! إن لـ(لا إله إلا الله) شروطًا، فإياك وقذفَ المحصنات»، ورُوِيَ أنه قال للفرزدق: «هذا العمودُ فأين الطنب؟»، **والطُّنُب**: حبل يُشد به الخباء والسرادق ونحوهما.
- وقيل للحسن البصري: إن ناسًا يقولون: من قال: «لا إله إلا الله» دخل الجنة قال: «من قال: لا إله إلا الله فأدى حقَّها وفرضَها دخل الجنة». وحقها وفرضها هي شروط «لا إله إلا الله».
- وقال وهب بن منبه لمن سأله: أليس «لا إله إلا الله» مفتاح الجنة؟ قال: «بلى ولكن ليس مفتاحٌ إلا له أسنان، فإن جئتَ بمفتاحٍ له أسنان فُتِحَ لك، وإلا لم يفتح لك»

والأسنان والشروط بمعنًى واحدٍ. =



٣٦- مفتاح الجنة

ينبغي أن يعمل بها، لتكون مفتاحًا صالحًا لفتح أبواب الجنة الثمانية.

* * *

= وقد نظم بعضهم شروط «لا إله إلا الله» فقال:

علـمٌ يقيـنٌ وإخـلاصٌ وصدقهـا مـــ
ـــعْ محبـةٍ وانقيـادٍ والقبـولُ لهـا







تأليف
محمد إسماعيل آل مقدم

دار الخلفاء الراشدين

الخـاتمـة

نسأل الله حُسْنَها،

إذا بلغت الروح المنتهى

✍ والآن أحسبك - أخي المكرم - قد أدركت سِرَّ عظمة هذه الكلمة الطيبة المباركة: «لا إله إلا الله»، و أنها في حقيقتها: (منهج حياة).

✍ وأحسبك أيقنت أنها **تستحق أن تجعلها محور حياتك، وأن تعيش بها**، فتحسن فهمها، وتلتزم شروطها، وتجتنب نواقضها، وتؤدي حقوقها.

✍ **وأنها تستحق أن تعيش لها** فتجعلها رسالتك في الحياة، بل تجود بحياتك في سبيل إعزازها، كما فعل مِن قبلك الرسل والأنبياء والصديقون والدعاة المصلحون، الذين أمر الله سيدَهم وخيرهم ومقدَّمَهم محمدًا ﷺ أن يعلنها لكل البشر في وضوح وشموخ، وثقة واعتزاز: ﴿قُلْ

﴿إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام].

إن «لا إله إلا الله» هي حقيقة الحقائق في هذا الوجود، وإن أهل «لا إله إلا الله» المخلصين فيها، والعاملين بها، والمجاهدين في سبيلها هم حَمَلَةُ هذه الحقيقة، ابتعثهم الله ليُخرجوا البشرية التائهة من الظلمات إلى نور «لا إله إلا الله»، اصطفاهم الله ليغيروا (الأمر الواقع) لا لكي يخضعوا له مع الخاضعين.

إن المسلم لم يُخلق ليندفع مع التيار، ويساير الركب البشري حيث اتجه وسار، بل خُلق ليوجِّه العالم والمجتمع والمدنية، خُلِق ليفرض على هذه البشرية التائهة اتجاهه، ويُملي عليها إرادته، لأنه صاحب رسالة «لا إله إلا الله»، وصاحب العلم اليقين بحقائق الوجود الكبرى، فهو المؤهل - بكل جدارة - لأن يكون مسئولًا عن هذا العالم وسيره واتجاهه، ولذلك فإن اللائق به لا يمكن أن يكون مقام التقليد والتبعية، إن منصبه اللائقَ به منصبُ الإمامة والقيادة،

الخاتمة

ومقام الإرشاد والتوجيه، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، قال -تعالى-: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾

[البقرة:١٤٣].

إن إيمانك بأن «لا إله إلا الله» يُلين لك الحديد، ويُقَرِّب منك البعيد، لأنها مصدر طاقَتك، ومنبع حركَتك، ومكمن قوتك.

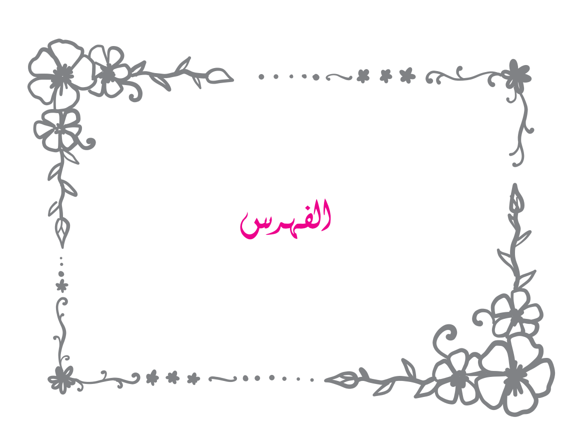
إنما التوحيدُ إيجابٌ وسَلْبٌ
فهما في النفس عزم ومَضاءْ
«لا» و«إلَّا» قوةٌ قاهرة
لها فِي النفس فِعلُ الكهرُباءْ

نسأل الله أن يختم لنا بخاتمة السعادة، وأن يجعل آخر كلامنا في الدنيا الشهادة.

وآخر دعوانا أن ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾.







الفهرس



المحتويات

المحتويات

❊ ❊ ❊